العدد ١٤/٢٠٠١

الأحد ٨ نيسان

أحد الشعانين

مبارك الآتي باسم الرب

الرسالة

(فيليبي ٤: ٤–٩)

يا إخوةُ افرحوا في الربِّ كلَّ حينٍ وأقولُ أيضًا افرحوا* وليَظهر حِلمُكم لجميع الناس. فإنَّ الربَّ قريبٌ* لا تهتمُّوا البتَّةَ بل في كلِّ شيءٍ فلتكن طلباتُكم معلومةً لدى الله بالصلاةِ والتضرُّعِ مع الشكر* وليَحفظْ سلامُ الله الذي يفوقُ كلَّ عقلٍ قلوبَكم وبصائرَكم في يسوعَ المسيح* وبعدُ أيها الإخوة مهما يكُنْ من حقٍّ ومهما يكُنْ من عفافٍ ومهما يكُنْ من عدلٍ ومهما يكُنْ من طهارةٍ ومهما يكُنْ من صفةٍ مُحَبَّبةٍ ومهما يكُنْ من حُسنِ صيتٍ إن تكُنْ فضيلةٌ وإن يكُنْ مدحٌ ففي هذه افتكروا* وما تعلَّمتموه وتسلَّمتموه وسمعتموه ورأيتموه فيَّ فبهذا اعملوا. وإلهُ السلامِ يكونُ معكم.

الإنجيل

(يوحنا ١٢: ١–١٨)

قبل الفصح بستة أيام أتى يسوعُ إلى بيتَ عنيا حيث كان لعازرُ الذي ماتَ فأقامهُ يسوعُ من بين الأموات* فصنعوا لهُ هناك عشاءً وكانت مرتا تخدمُ

دستور الإيمان

انبثاق الروح القدس

«ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي» (يو ١٥:٢٦).

عندما كتب آباء المجمع المسكوني الثاني (٣٨١) الجزء الثاني من دستور الإيمان، قالوا: «وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب». انبثاق الروح القدس من الآب حافظت عليه الكنيسة في الشرق، لكن الكنيسة في الغرب عدَّلت رسميًا نص دستور الإيمان في أوائل القرن الحادي عشر ليصير «وبالروح القدس المنبثق من الآب والابن». إضافة عبارة «والإبن» (Filioque) كانت السبب المباشر لانشقاق الكنيسة، إضافة إلى التباعدات الثقافية والحضارية التي كانت تفصل بين الشرق والغرب.

نشأت فكرة انبثاق الروح القدس من الآب والإبن في إسبانيا حوالي عام ٤٠٠، حيث كانت الكنيسة ما زالت تواجه الآريوسية الرافضة لألوهة الإبن. ولكي تشدِّد الكنيسة على ألوهة الإبن قالت إن الروح القدس منبثق ليس من الآب فقط، بل ومن الإبن أيضًا، لأن الإبن إله كامل. وكانت أيضًا قد برزت بدعة البريشيليانيين (نسبة إلى Priscilien أسقف Avila في إسبانيا) التي قالت بأقنوم واحد للثالوث.

تبنى مجمع توليدو الثالث في إسبانيا عام ٥٨٩ هذه الإضافة، وأعلن ان كل من لا يعترف بالانبثاق من الآب والإبن معًا يُقطع (القانون الثالث). فأمر الملك روكارد، الآريوسي سابقًا بإضافة «والإبن» إلى نص دستور الإيمان النيقاوي القسطنطيني، وأقر هذه الزيادة مجمع توليدو الرابع عام ٦٣٣.

تسربت هذه الزيادة إلى فرنسا، وكان الإمبراطور شارلمان من أبرز المناصرين لها. فعقد مجمعًا في اكس لا شابل عام ٨٠٩ ثبت فيه عقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والإبن. لم يرضَ البابا لاون الثالث هذه الزيادة، بل أمر بأن ينقش دستور الإيمان على لوحين من الفضة باليونانية واللاتينية دون عبارة «والإبن»، وعلقهما على باب

كاتدرائية القديس بطرس في روما مع الحاشية التالية: «هذه كتبتها أنا لاون حفاظا على الإيمان الأرثوذكسي». غير ان الصيغة الجديدة عمت فرنسا وإسبانيا وإيطاليا والمانيا (حيث القبائل الجرمانية).

لم يسمع الشرق عن الموضوع إلا من خلال الجدالات بين رهبان الإفرنج ورهبان دير القديس سابا في فلسطين. إلا ان الأمر لم يستحوذ على الأهمية اللازمة إلا مع القديس فوتيوس الذي عقد مجمعًا في القسطنطينية عام ٨٧٩ رفض فيه كلمة «والإبن».

بقي الباباوات في الغرب مناهضين لأية إضافة على دستور الإيمان حتى القرن الحادي عشر، إذ بعدما احتل الإمبراطور أوتون الأول Otto I (٩٣٦-٩٧٣) إيطاليا عام ٩٥١، حصلت ضغوطات شديدة على الباباوات. وعام ١٠٠٩ استقال آخر بابا روماني أرثوذكسي يوحنا الثامن عشر، وفرض أول بابا جرماني سرجيوس الرابع. تلا هذا البابا دستور الإيمان مع الإضافة فحذره بطريرك القسطنطينية سرجيوس. ولما لم يقبل حذفه من لائحة الأساقفة (الذيبتيخا)، وسانده في موقفه بطاركة أورشليم وإنطاكيا والإسكندرية. في العام ١٠١٤ حضر الإمبراطور هنري الثاني إلى روما ليتوجه البابا نيكيتوس الثامن، ففرض الطقس الجرماني، كما أنشد دستور الإيمان مع الزيادة في القداس الإلهي، ونزعت اللوحتان اللتان علقهما البابا لاون الثالث.

القطيعة النهائية بين الشرق والغرب حصلت في تموز عام ١٠٥٤، عندما دخل موفد البابا لاون، الكاردينال همبرت، على اثر خلاف حول بعض أبرشيات إيطاليا وبعض العادات اللاتينية كاستعمال الفطير والصوم يوم السبت، ووضع على مذبح كنيسة الحكمة الإلهية حرمًا للبطريرك ميخائيل، حين كان البطريرك يخدم القداس الإلهي.

لقد رفضت الكنيسة الشرقية الإضافة لسببين: أولهما لأن قرارات المجامع المسكونية لا يمكن تعديلها إلا بقرارات مجمع مسكوني آخر وهذا لم يحدث. والثاني لاهوتي: الخوف من القول بالانبثاق من الآب والإبن هو أن يكون لدينا مصدران للألوهة، وهكذا ندخل في الشرك وتعدد الآلهة. والقديس فوتيوس يقول: «ان القول بأن الآب علة الإبن وان الآب والإبن معًا علة الروح القدس يوجب أن يكون الآب والإبن والروح القدس علة لأقنوم رابع...».

يقول القديس يوحنا الدمشقي: «نؤمن بآب واحد، مبدأ الجميع وعلتهم، لم يلده أحدٌ وهو وحده أيضًا غيرُ معلول ولا مولود... وهو مصدرُ الروح القدس... أما الروحُ القدس، فينبثق من الآب لا بالولادة بل بالإنبثاق... نؤمن أيضًا بالروح القدس الواحد، الربِّ المحيي، المنبثق من الآب والمسجود له والممجَّد مع الآب والإبن... منبثق من الآبِ وموهوب بالإبن فتناله الخليقة كلها. خالقٌ بذاته، يكوّن الكل ويقدّسه ويعتني به. قيومٌ بأقنومه الخاص، غيرُ مفترق ولا منفصل عن الآب والإبن. له كل ما للآب والإبن عدا اللاولادة والولادة... أما الإبن فهو من الآبِ بالولادة. والروحُ القدس هو أيضًا من الآب، لكن لا بالولادة بل بالإنبثاق. ونحن نعلم أن هناك فرقًا بين الولادة والإنبثاق لكننا نجهل كيفيّته. وإننا نعلم أيضًا بأن ولادة الإبن وانبثاقَ الروح القدس من الآب كانا معًا» (المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، الرأس الثامن، المقالة الثامنة).

وكان لعازرُ أحَدَ المتَّكئين معهُ* أمَّا مريمُ فأخذتْ رطلَ طيبٍ من ناردينٍ خالصٍ كثيرِ الثمن ودهنتْ قدمَيْ يسوع ومسحَتْ قدميهِ بشعرها* فامتلأ البيتُ من رائحةِ الطيب* فقال أحدُ تلاميذه يهوذا بنُ سمعان الإسخريوطيُّ الذي كان مزمعًا أن يُسلمَهُ لِمَ لم يُبعْ هذا الطيبُ بثلاثِ مئةِ دينارٍ ويُعطَ للمساكين* وإنما قال هذا لا اهتمامًا منه بالمساكين بل لأنه كان سارقًا وكان الصندوقُ عندهُ وكان يحملُ ما يُلقى فيه* فقال يسوعُ دَعْها إنما حَفِظَتْهُ ليوم دفني* فإنَّ المساكينَ هم عندكم في كل حينٍ وأما أنا فلستُ عندكم في كل حين* وعلِم جمعٌ كثيرٌ من اليهود أن يسوعَ هناك فجاءوا لا مِنْ أجل يسوع فقط بل ليَنْظروا أيضًا لعازرَ الذي أقامه من بين الأموات* فأتمرَ رؤساءُ الكهنة أنْ يقتلوا لعازرَ أيضًا* لأن كثيرين من اليهود كانوا بسببه يذهبون فيؤمنون بيسوع* وفي الغد لما سمع الجمعُ الكثيرُ الذين جاءوا إلى العيد بأن يسوعَ آتٍ إلى أورشليم أخذوا سُعفَ النخل وخرجوا للقائهِ وهم يصرخون قائلين: هوشَعْنا مباركٌ الآتي باسمِ الرب ملكُ إسرائيل* وإنَّ يسوعَ وجدَ جحشًا فركبهُ كما هو مكتوبٌ* لا تخافي يا ابنة صهيون. ها إنَّ ملكَكِ يأتيكِ راكبًا على جحش ابن أتانٍ* وهذه الأشياء لمْ يَفْهَمْها تلاميذُهُ أولاً ولكن لما مجد يسوعُ حينئذٍ تذكروا أن هذه إنما كُتبتْ عنه وأنهم عملوها له* وكان الجمع

الذين كانوا معه حين نادى لعازرَ من القبرِ وأقامهُ من بين الأموات يشهدون لهُ* ومن أجلِ هذا استقبَلَهُ الجمعُ لأنَّهم سمعوا بأنَّهُ قد صنع هذه الآية.

تأمل

«إفرحوا في الرب كلّ حين وأيضًا أقول افرحوا» (في ٤:٤).

يقول المسيح «طوبى للباكين» و«الويل للضاحكين» (متى ٤:٥، لو ٢٥:٦). لماذا إذًا يقول الرسول بولس: افرحوا دائمًا بالفرح الذي يأتي من وحدتنا مع الرب؟ كلامه هذا لا يتعارض مع كلام المسيح. حاشا. لأن المسيح قال «الويل للضاحكين»، وهو يقصد ضحك هذا العالم الذي يأتي من مظاهر هذه الحياة. لم يطوّب فقط الباكين على ذويهم، بل خصوصًا الباكين على خطاياهم وخطايا العالم.

لا يتعارض الفرح الآتي من الربّ مع البكاء على الخطايا. بل ينتج الأوّل عن الثاني، لأن الذي يتوب عن خطاياه يفرح. ومن الممكن أيضًا أن نبكي على خطايانا وأن نفرح مع المسيح. يقول الرسول هذا كله لأن أهل فيلبي كانوا يتضايقون ويحزنون من جرّاء كل ما يعانون منه، فيقول لهم: «لقد أُعطيت لكم النعمة، ليس فقط أن تؤمنوا بيسوع المسيح، بل أيضًا أن تتألموا من أجله» (في ٢٩:١). لذلك يقول هنا افرحوا بالفرح الآتي من

مدخل إلى إنجيل لوقا

إضافة إلى كونه أحد الإنجيليين الأربعة الذين اعترفت الكنيسة بكتاباتهم، يُعتبر الإنجيلي لوقا أوّل مؤرّخ كنسي، لاعتماده الأسلوب التأريخي، في عرضه لبشارة يسوع (إنجيل لوقا)، والتطرّق إلى وضع الكنيسة بعد قيامة يسوع، من ناحية أخرى (أعمال الرسل). باختصار لقد كتب الإنجيلي لوقا تاريخ الخلاص.

المؤلف:

اعتبر التقليد الكنسيّ أن لوقا «الطبيب الحبيب» تلميذ بولس (كول ١٤:٤) هو مؤلّف الإنجيل الثالث، وهو مؤلّف كتاب أعمال الرسل أيضًا.

مكان التأليف وزمانه:

من الصعب تحديد مكان التأليف، غير أنّه من المرجّح أن تكون عاصمة الإمبراطورية الرومانية، روما، هي المكان الذي ألّف فيه لوقا إنجيله، حوالي السنة ٩٠ م.

خلفية الإنجيل:

بعد مرور فترة من الزمن على قيامة الربّ يسوع وصعوده، وبعد تأخُّر مجيئه الثاني، كان لا بدّ من تنظيم أمور الكنيسة وتوجيهها بانتظار هذا المجيء، على أساس تعليم يسوع نفسه. في هذا الإطار كان لا بدّ من حلّ بعض المسائل العالقة في جماعة لوقا، والتي تتألّف في غالبيّتها من مسيحيّين من أصل أمميّ. من هذه المسائل:

١- زوال الأمل في مجيء الرب يسوع:

لقد شكّل توقّع المجيء بسرعة مشكلة بالنسبة للرسول لوقا وكنيسته مع مرور الوقت. لذلك نرى لوقا يرفض كلّ التكهّنات المتعلّقة بقرب المجيء (٢٠:١٧–٢١؛ ١١:١٩). غير أنّ ذلك لا يعني أنّ لوقا قد تخلّى عن الأمل في المجيء، إلاّ أنّه ربط عدم معرفة وقت مجيء الربّ (٤٠:١٢)، بالدعوة إلى التحمّل بصبر (١٥:٨)، والمراقبة والسهر (٣٥:١٢ وما بعدها).

٢- الغنى والفقر في الجماعة:

إن الإستعمال الصحيح للغنى والملكيّة أصبحت مشكلة أساسيّة عند لوقا (١١:٣). فالأعضاء الأغنياء كانوا جشعين ويبرّرون أنفسهم (١٣:١٢–١٥؛١٦:١٤–١٥)، ويحتقرون الفقراء (٩:١٨). وسعيهم وراء الغنى قد يؤدّي بهم إلى فقد إيمانهم (٢٥:٩). مقابل هذا الوضع السلبي، يصوّر لوقا الكنيسة الأولى على أنها جماعة حبّ متبادل تتمتّع بحريّة الاختيار (أع ٤٥:٢؛ ٣٢:٤). كما أنه، في مجموعتي لوقا المتعلّقتين بهذا الموضوع (١٣:١٢–٣٤ و١:١٦–٣١) يُظهر لنا يسوع المشكلة المتأصّلة بالغنى، في أن الحياة لا تجد معناها في الملكيّة (١٥:١٢)، وأنّ الدافع إلى المنفعة والجشع هما ضدّ إرادة الله (١٥:١٢؛ ١٤:١٦). كما أنّ لوقا يربط الدعوة إلى التلمذة بالتخلّي عن الملكيّات (١١:٥،٢٨؛ ٣:٨؛ ٣:٩؛١٠:٤؛١٨:٢٨). «كلّ واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون تلميذا» (٣٣:١٤). هذا ويربط يسوع طلبه بالتخلّي عن الملكيّة بالاستعداد لإعطاء الصدقات (١٢: ٣٣،٢١–٣٤؛ ٩:١٦). ولكن لوقا يؤكّد علي أنّ هذا العطاء هو عمل إرادي (أع ٥:٤).

٣- العلاقة بين الدولة والكنيسة:

يصوّر لوقا المواجهات بين يسوع وممثّلي الدولة بالنظر إلى وضع الكنيسة في الإمبراطورية الرومانية، في زمنه هو. هكذا يصبح اليهود مضطهدي يسوع أو المسيحيّين. والقائد الروماني يؤكد براءة يسوع ثلاث مرّات (٢٣: ١٦،٢٠،٢٢)، فيظهر اليهود وحدهم مسؤولين عن موت يسوع. يريد لوقا أن يحفظ حريّة جماعته

المسيحيّة في عينيّ الدولة، هذه الحريّة التي تحتاجها في حياتها وعبادتها ورسالتها. ويواجه لوقا هجمات الدولة المحتملة بإظهاره المسيحيّين أولياء للسلطة ولا يشكّلون خطرًا على الإمبراطورية.

تعليم الإنجيل:

١- في مخطط الله الخلاصي هناك استمراريّة بين القديم والجديد، بين إسرائيل والكنيسة، وترمز أورشليم إلى هذه الإستمراريّة. من هنا اهتمام لوقا بأورشليم، إذ فيها سيتمّ يسوع خروجه (٣١:٩) إلى الله، ومنها ستنتشر الرسالة المسيحيّة إلى أقاصي الأرض (أع١-٢). لذلك نرى مع لوقا يسوع دومًا متجهًا نحو أورشليم ليتمجّد. والكنيسة عند لوقا هي إسرائيل الحقيقي، التي يقودها الروح القدس، كما قاد يسوّع (١:٤،١٤)، لإتمام هذا المخطط.

٢- يشدّد لوقا على الرحمة والغفران، فإنّه الوحيد الذي يعرض مثلاً قصة المرأة الخاطئة (٧: ٣٦-٥٠)، والإبن الشاطر (١١:١٥-٣٢). كما ينقل قول يسوع «كونوا رحماء كما أن أباّكم رحيم» (٣٦:٦)، في حين أنّه يقول في متى «كونوا كاملين...» (٤٨:٥). ويضيف لوقا (٣٢:٥) عبارة «إلى التوبة»، إلى جملة «لم آتِ لأدعو صدّيقين بل خطأة» (مر٢:١٧؛ متى ٩: ١٣).

٣- غفران يسوع هذا يصل إلى كل إنسان. في سلسلة النسب (٣:٢٣-٣٨) لا يحدّ سلالة يسوع بخط داود الملكيّ، كما هي الحال عند متى، ولكنّه يضع يسوع ضمن شجرة العائلة البشريّة، كابن آدم ابن الله. ويمكن مشاركة كلّ إنسان بإيمان إبراهيم، فيصبح ابنًا لإبراهيم (٨:٣)، «ويبصر كلّ بشرٍ خلاص الله»(٦:٣)، فالخلاص هوً خلاص عالميّ.

٤- يحتلّ الفقراء مكانة مهمّة عند لوقا، ويشدّد على الفقر الحالي في التطويبات، فهو يستعمل المخاطب فيّ كلامه «طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت السماوات» (٦: ٢٠)، ولا يضيف، كما عند متى، «الفقراء بالروح». كما يستخدم الاستشهاد من نبوءة أشعياء الذي يشير إلى الفقراء الذين تأتّي من أجلهم البشارة: «روح الربّ عليّ لأنه مسحني لأبشّر المساكين...» (١٨:٤). أضف إلى أنّ مثل الغنيّ ولعازر (١٦:١٩-٣١) خاص بلوقا.

٥- يدعو لوقا إلى التخلّي الكامل. فيجب على التلاميذ أن يتركوا «كل شيء» (١١:٥) ليتبّعوا يسوع. ويشدّد على التكريس الكلي ليسوع: «ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله» (٦٢:٩). وهذّه المسيرة فيّ اتباع يسوع تتحقق بالتخلّي المستمرّ اليومي: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه **كل يوم**، ويتبعني» (٢٣:٩).

٦- عند لوقا يصلّي يسوع قبل كلّ خطوة مهمّة في رسالته المسيانيّة: عند معموديته (٢١:٣)؛ قبل اختياره الإثني عشر تلميذًا (٦: ١٢)؛ قبل إعلانّ بطرس الإيماني (٩: ١٨)؛ عند التجلّي (٩: ٢٨)؛ قبل تعليم الصلاة الربيّة (١١: ١)؛ في الجسّمانية (٤١:٢٢). يسوع هو معلّم الصلاة، ويحضّ تلاميذه دائمًا على أن يكونوا رجال صلاة (٦: ٢٨؛ ١٠:٢؛ ١١: ١-١٣؛ ١:١٨-٨؛ ٣٦:٢١).

٧- يشير لوقا بتواتر إلى دور الروح القدس (١:١٥، ٣٥، ٤١، ٦٧؛ ٢: ٢٥-٢٧؛...)، الذي هو عطيّة الله بامتياز (١١: ١٣)، الذي يرسله يسوع لتلاميذه (٢٤: ٤٩) ليبقى معهم ليتمّ تدبير الله الخلاصي.

وحدتنا مع الرب يسوع. هذا يعني أنّ علينا أن نسلك هذا السبيل لكي نفرح. يعني أيضًا أننا إن أتممنا واجباتنا نحو الله علينا أن نفرح، أو قد يعني افرحوا بمعونة الرب دائمًا.

«وأيضًا أقول افرحوا»:

هذا من ميزة الإنسان الشجاع الذي باتحاده بالله يفرح دائمًا. إنْ تضايق، إنْ حزن، يفرح دائمًا. اسمعوا لوقا يقول عن الرسل: «خرجوا من المجمع بفرح لأنهم استحقّوا أن يُضربوا من أجل اسمه» (أع٥: ٤١). إن كانت الضربات والسجون تشكّل عادة ألمًا كبيرًا، إلاّ أنها تجعلنا نفرح. فماذا يمكن أن يُحزننا بعدُ؟ «وأيضًا أقول إفرحوا». لقد كرّر الكلام حسنًا، لأن الوضع كان يسبّب حزنًا. لذلك يعود ويؤكد أن هذا لا يمنع من أن تفرحوا.

«الرب قريب لا تهتموا بشيء». يقول السيّد «سأكون معكم إلى منتهى الدهر»، وهذا بالنسبة إلينا دواء وعزاء يريحنا من الحزن ومن كل المضايقات. ما هو هذا الدواء؟ الصلاة والشكر في كل شيء. إذًا ليست الصلوات فقط طلبات، بل هي أيضًا شكر على ما نملك. من الذي يطلب الآتيات دون أن يشكر على الحاضرات؟

القديس

يوحنا الذهبي الفم